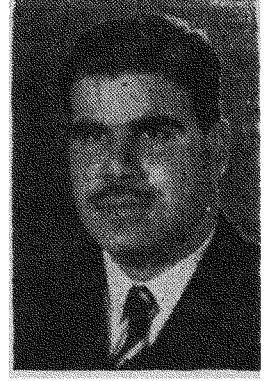


# أزمة نقد عربي

بقلم الدكتور عبدالله عبدالمؤمن



(( ان الربط بين الانطلاقة القومية والافتتح الانساني - وهو ربط لا تكون بدون الوثبة القومية حديرة بهذا الاسم ولا تصل بدونه الى غايتها - تقع على الابداء مسؤولية القيام به ، وتقع على النقاد مسؤولية تذكير الابداء بمعناه وضرورته ))

حرا خصيبا : انه الان يأخذ القيم على عاتقه ومسؤوليته ، ويدافع عنها دفاعه عن حقيقة رآها ووصل اليها بعد رياضة وجهد وتجربة عميقة . انه الان قادر على ان يغالب كل شيء ، حتى نفسه ، في سبيل تلك الرؤية التي رآها، رؤية الحقيقة وقيمتها .

وما يصدق على الفرد في سائر مجالات النشاط الاجتماعي ، يصدق خاصة على الاديب وعلى مجال الابداع الادبي . فالاديب لا يكون مبدعا حقا لمجتمعه ، ما لم يفد هذا المجتمع الذي يتأثر به شيئا في قبضته ، يعرف انه يتطلع اليه من الذرى ويعرف ان يتفاعل معه تفاعلا اعمق بعد ان عرف هذا الاشراف البعيد ، وبعد ان تحرر منه ليعود اليه عودا احفل بالنور . وعندما يتأتى للاديب مثل هذا التحرر من ربقة الانسياق مع المؤثرات الاجتماعية دون ما وعي كاشف لها ، يستطيع ان يكون اديب المجتمع المرتقب . انه يكون الاديب المرجو عندما يدرك ان مهمته الكبرى كشفت الاهور وبسط الحياة في اعماقها امام القراء ، وعندما يدرك ان مثل هذا الكشف الوضاء لحقيقة الوجود ، لا يسر الا لمن استطاع حقا ان يخلق الوجود من جديد ، ان ينظر اليه نظرة بديئة ، ان يزيله الى حين ، ليستطيع بعد ذلك ، ان يرى ما فيه رؤية المشرف المطل .

مثل هذا الموقف وحده هو الذي يقوى على ان يولد من البحرين الراهن عطاء وخصبا ، وان يخرج من هذا التخبط الادبي الى ادب حق يمثل وجهة نظر موحية ملهمة ينظر بها الاديب الى الكون والاشياء . فالادب الذي لم يتحرر من الوجود العادي الضيق ليتصل بالوجود الصميم ، الوجود بمعناه العميق وبجوهره الشامل لا يستطيع ان ينقل الحياة الى الآخرين .

**هذا الانتقال من البحرين الى الموقف الادبي الاصيل لن يتم الا اذا اسهم النقد الادبي في المعركة اسهاما جديا وتحمل مسؤوليتها .** فكلنا يدرك ان ادبنا حتى الان ادب يكاد يشبه تلك النباتات البرية التي تنمو في الفيافي ، ولا تجد من يشذبها او ينظفها او ينقل شذاها . وكلما تقدم

لا شك ان الادب العربي المعاصر يعاني من بحران طويل ، قد يتمخض عن خصب وعطاء وقد لا يلد غير بحران اوسع . واجتناب النتيجة الثانية لا يكون الا اذا وعى الادب البحرين واستطاع ان يتجاوزها عن طريق مغالبتها لذاته ، وعن طريق ادراك الابداء مسؤوليتهم ورسالتهم . ان كل عمل خلاق لا يكون الا اذا افتتح صاحبه على افق الحرية الكاملة المطلقة . ونقصد بالحرية هنا ان يعي الشخص المؤثرات التي تدفعه الى عطائه وسلوكه ، وان يحاول عن طريق هذا الوعي التام لها ، ان يتحرر منها ولو الى حين ، ليتخذ من دونها ومن فوقها موقفا اصيلا شخصيا .

ان كل انسان ابن مجتمعه وابن الظروف الاجتماعية التي يحيا فيها ، ولا يتم تكون الانسان كإنسان ما لم يندمج بهذا المجتمع ويتمثل حضارته وقيمه وخيراته الثقافية . غير ان ثمة شكلين من اشكال الاتحاد مع المجتمع وامتصاص حضارته : الاول سلبي منفعل لا يعدو ان يكون المرء فيه قابلا لا فاعلا ، متلقيا تراث المجتمع دون ما مشاركة نقدية فعالة يقوم بها . واذا ذلك يكون انسانا متبعيا لا مبتدعا ، يزرع المجتمع فوقه وينوء بقيم هذا المجتمع ، بدلا من ان يكون له هذا المجتمع وقيمه اداة الهاب وتفتيح . اما الشكل الثاني من اشكال الاتحاد مع المجتمع فقوامه ان يتحرر الفرد من المجتمع الى حين ، عن طريق وعي يعلو على كل شيء ويمحو كل شيء ليعني الاشياء من جديد ، ويشكل في كل قيمة ليلد قيما حقة . وقد يعود مثل هذا الفرد ، بعد هذا التحرر المطلق والمحو التام ، الى ان يتبنى كثيرا من قيم مجتمعه ، والى ان يمتص تراثه وحضارته . ولكنه اذ يفعل يكون في الواقع بانيا لقيم جديدة وان تكن موجودة ، خالقا لحضارة حية مستحدثة وان تكن عريقة في القدم . على ان هذا الفرد قد يجاوز في احيان اخرى ما في مجتمعه ، ويرى ان بعض ما فيه من قيم يحتاج الى تفويض او تعديل ، وعند ذلك يقف موقف الثائر المجدد . وفي الحاليين يقف مثل هذا الفرد من المجتمع ومن القيم الانسانية التي يحملها موقفا

بنا الزمن ادركنا ان دور النشر تقذف كل يوم بجديد متكاثر ، وان ما تقذف به متروك الى القراء ، يحكمون عليه كما يشاءون بينهم وبين انفسهم او يستمتعون دون ان يكلفوا انفسهم عناء الحكم . وقلما نلقى نقدا هاديا يشير ببنائه الى قيمة ما ينتج ، ويصنف النتاج تصنيفا يضع كل شيء في مستواه ومكانه . ومن منا لا يلمس اضطراب الشبيبة فيما يقرأون : انهم يحارون في أي النتاج يقرأون ، وكثيرا ما تحول حيرتهم هذه بينهم وبين ان يقرأوا شيئا . وحتى اساتذتهم الذين تقع عليهم مهمة ارشادهم ، يضلون غالبا ضمن النتاج المتكاثر ، وما ينصحون به غالبا كتب اطلعوا عليها لانهم اطلعوا عليها كما تقع الفراشة على اي زهرة . ومن العسير ان يسر للشبيبة في بلدنا ، سواء عن طريق اساتذتهم او من يفوقهم علما وخبرة ، ان يتبينوا صفحة الادب المعاصر لهم واضحة كاملة ، وان يدركوا اخيرا ما هو اجدر بان يتخير .

والازمة لا تقف عند حدود الشبيبة وحدهم ، بل هي تتعداهم الى الكتاب انفسهم . ان هؤلاء الكتاب ينتجون دون ان يصلوا هم انفسهم في نهاية الامر الى ان يضعوا نتاجهم في المكان الصحيح ضمن النتاج الواجب للمجتمع . **فالنقد الذي يعجم هذا النتاج ويوازن ويستخلص ، نقد نادر . وجل ما يبسر لادبائنا من نقد ، مديح يقوم به صديق معجب او مرتزق رخيص ، أو تلب يقوم به خصم او جاهل .** وكم يحن الأدباء ، وكم يظلم الأدب الى صوت ينقرب من الحقيقة جهده ، ليقول كلمته . فمثل هذه الكلمة الصادرة عن نقائيس جديدة واعية ، هي وحدها التي تروي ظلماً الكاتب الى من ينجيه حول ما كتب : وسواء كانت هذه الكلمة قاسية على الاديب او ممتدحة له ، تظل للاديب وحيا جديدا يقوده الى امام ويحمله على مزيد من التأمل ومجاورة الذات . انها مأساة حقا ، مأساة لها صدادها الاجتماعي البعيد ، تلك التي يخضع لها الاديب عندنا : انه يجهد ويجهد لينتج ما يرتجي ان يكون الابداع الذي ينتظره مجتمعه ، ويمضي النتاج الى السوق ، ويرتقب الاديب صوت النجوى الحقه ، صوت القيم التي عمل من اجلها ، صوت الانسان ، الذي اراد ان يعمل لرسالته حين صاغ الحرف واذاب الفكر ، فلا يجد الا فراغا وعدما . وكثيرا ما ينقلب الامر لدى من لا يجدون في عمق ايمانهم برسالة الادب ما يحميهم ، الى التبليغ بالنتائج المادية التي يدرها عليهم نتاجهم .

ويستوي في هذا ، فيما نعتقد الادباء الناشئون والادباء الشيوخ ، اذا اردنا ان ننظر الى الامور من منظور الادب الصادق الحق . فالادباء الشيوخ انفسهم في حاجة الى من يدفعهم دوما الى تجاوز ذاتهم ، بل هم اشد حاجة من سواهم ، الى صوت صارم يحول بينهم وبين ان يعيشوا على حساب جهدهم الماضي . ولعل مشكلة الصراع بين ادب الشباب وادب الشيوخ ترجع في اعماقها الى هذا الامر : فالشيوخ في معظم الأحيان يكتفون بالاعتداء مما

كان لهم من شأن ، وقلما يحاولون ان يجعلوا من الادب تجاوزا للزمن وللذات ، وقلما يضعون انفسهم في سباق مع الزمن وفي سباق مع انفسهم . وموقفهم هذا يرجع فيما يرجع الى انعدام النقد الذي يحمل صوت الحقيقة القاسي . يضاف الى هذا ان الشيخ بطبعه محافظ ، يعيش غالبا في ماضيه ، ان لم يقم حقا بتجربة فكرية ونفسية عنيفة تجعله في شباب فكري دائم ، بل تجعله كما يقول بعضهم مراهقا الى الابد . ومن مهمة النقاد ان يدفعوا مثل هؤلاء الادباء الشيوخ الى اقتحام هذه المغامرة الجريئة ، الى خلق صبوة ابدية الى نضارة الحياة ونسغ الوجود . ان الاديب الكبير هو الذي يبلغ اللحد وهو ما يزال ينسادي الحياة نداء الشاب الظالمي الى كنهها وجوهرها .

وعبثا يقول القائلون : ان الاديب الكبير ليس في حاجة الى من يدفعه ويذكي صوته ويشعل موقده . فتلك شنشنة بالية عفى عليها الزمن . وصراع الادباء قديما حول دور كل من الموهبة والصناعة في خلق الادب ، صراع تجاوزه الايام . ومن الامور التي اثبتتها طائفة من الدراسات والبحوث اليوم ان العبقرية في حاجة الى حماية ورعاية وانها لا تنبت وتنمو كما ينبت الفطر او كما تنبتق الزهور في الادغال . وخير رعاية لها شدها دوما الى رسالتها ، الى جوهرها ، الى مصيرها الذي ينبغي ان تكونه . وتلك هي مهمة قاسية من مهمات النقاد .

ان اقسى ما يصاب به الاديب ، والاديب الكبير خاصة ، ان يحاط بالسنة المديح من حوله ، المديح الذي لا يتجاوز المديح فاذا به يستظل بمجده وبقواف الشناء ، فيستغني بذلك عن كل شيء ويكفيه هذا مؤونة العناء ، ويخيل اليه انه لم يعد في حاجة الى اكثر من ان ينشر على الناس بين الفينة والفينة قطرات من زاده الزاخر وان يتفضل عليهم بشيء من فضل هذا الزاد ، عند ذلك يقضي الاديب ، لان الادب اما ان يكون تجاوزا مستمرا للذات واما الا يكون . والاديب الحي العمر هو الذي يعرف ان يقول لمادحه قولة علي ابن ابي طالب : انا فوق ما في نفسك ودون ما قلت . بل هو الذي يرى مثله الاعلى دوما امامه لا وراه ، والذي يجري وراء هذا المثل الاعلى كما يجري الظمان اللاهث وراء سراب يتباعد دوما ، او كما يتطلع الضال في الليل الى نجم ما هو ببالغه .

ونقد الذات هذا ، الذي هو امانة الحياة ودليل الفنى لدى كل اديب ، يساعد على تكوينه واذكائه النقد الادبي الصحيح ، الذي ينقل الاديب الى المثل الاعلى ، الى القيم الحقيقية ، ويعيش واياه لحظات خالداً امام نور الصدق والجد ، ويلقي في نفس هذا الاديب بؤرة لامعة تومض بما هو انساني خالد رفيع .

وندرك شأن هذا النقد ، اذا ذكرنا ان الاديب في معظم الاحيان ، يعيش تجربته الفردية ، وكثيرا ما يستغرق فيها ويذوب ضمنها بحيث ينسى ان ثمة تجارب اخرى يحيها ادباء آخرون . وهذا الايفال في تجربة واحدة فريدة

## نتائج مسابقات «الآداب»

\*

تألفت ثلاث لجان من الادباء لدراسة المخطوطات المقدمة الى مسابقات «الاداب» لعام ١٩٦٠ ، على الشكل التالي :

لجنة الشعر : الاساتذة نزار قباني ، بدر شاكر السياب ، الدكتور خليل حاوي .

لجنة الرواية : الاساتذة توفيق يوسف عواد ، الدكتور محمد يوسف نجم ، عبد الله لحدود .

لجنة الدراسة الادبية : الاساتذة الدكتور علي سعد ، الدكتور جبور عبد النور ، عبد اللطيف شراره .

وقد درست لجنة الشعر الدواوين المقدمة وعددها اثنان وعشرون ، فوجدت ان افضل ما قدم للمسابقة هو ديوان (( ابيات ريفية )) للشاعر

**عبد الباسط الصوفي**

فقررت منحه الجائزة وقيمتها الف ليرة لبنانية (١) .

ودرست لجنة الرواية الروايات الاربعة عشرة التي اشتركت في المسابقة فقررت منح جائزتها ، وقيمتها الف ليرة لبنانية ايضا لرواية

**(( المهزومون )) للاستاذ هاني الراهب**

من الاقاييم الشمالي .

اما لجنة الدراسة الادبية ، فقد قررت بالاكثريّة **حجب الجائزة**

(( فالادب )) تشكر اللجان الفاحصة ، وتهنىء الفائزين الذين سمينشر كتابهما في وقت قريب (٢) . وستعلن المجلة في العدد القادم عن مسابقاتها الجديدة لعام ١٩٦١ .

(١) سترسل هذه الجائزة الى ورثة الفقيد الصوفي ، كما ان دار الاداب التي ستنشر الديوان ستحول الى الورثة كل ربح ينتج عن بيعه ، احتراماً لذكرى الفقيد الراحل .

(٢) ادارة مجلة الاداب مستعدة لاعادة المخطوطات غير الفائزة الى اصحابها اذا كتبوا لها في هذا الشأن .

على ما فيه من غنى ، يؤدي في النهاية الى فقر خطير ، ان لم يرفد بدم جديد ، بمعنى جديد ، بمقاصد ولادة . واجترار الذات الطويل ، والتأمل المرآوي المتصل ، لا بد ان يقود الى عزلة مع الذات لا تحمل معنى اتصال اعمق مع الاخرين ، وانما تعني انعزالا حقا عن التجربة الانسانية . ومن شأن الناقد ان يرد الاديب دوما الى التواصل مع تجربة غيره من الادباء ، والى الاتصال بالتجربة الانسانية عامة انه اقدر من الاديب على الكشف عن انحراف هذا الاخير شطر نرجسية ذميمة او سرد غافل . ان الناقد هو الجسر الذي تمنع عليه تجربة ادب مقارن مغن للادب والادباء . انه البؤرة التي تتلاقى عندها اشعة الادباء من كل طرف ، والتي تستطيع ان تضيء كل اديب بنور جديد .

ان التجربة الانسانية تجربة طويلة متنوعة الالوان ، ومن العسير على اي انسان ان يبلغ الحقيقة او شطرا منها ، او يبلغ الجمال او شطرا منه ، عن طريق سعيه الوحيد . ولا بد ان تتصالب الجهود ، وتتآزر الهمم في سبيل الكشف شيئا بعد شيء ، وبحركة متطورة متقدمة دوما عن المعاني الثابثة في الكون والاشياء . ولا بد للاديب ، الى جانب نظراته الخاصة المتمذهبة من اطلالة شاملة على جهود الاخرين ونظرات الاخرين . وقد لا تيسر له هذه النظرة دوما بحكم تمذهبه وانشغاله برؤاه ونظراته . وهنا يأتي الناقد ليملا ثغرات هذه الاطلالة الشاملة الكلية التي ينبغي ان يملكها الاديب ، وليضعه ويضع اديه في مكانهما ووقعهما من ادب العصر ، ومن ركب الزمن وحصاد التجربة الانسانية .

وما نرانا في حاجة الى مزيد من الحديث عن الدور الذي ينتظره ادبنا العربي المعاصر من الناقد وقلمه فكلنا يدرك في بساطة ويسر ان ادبنا العربي هذا يشكو اليتيم ، وانه لا يجد اقلاما ناقدة صادقة ترعاه وتضعه حيث ينبغي ان يوضع . انه يتيم القيم التي تهب له قيمته ، يتيم الحرف الذي يستخرج معنى حرفه .

والامر الجدير بالبحث ، ما هو تقرير هذا اليتيم ، ونمي افتقاد النقد هذا ، وانما هو السؤال عن اسبابه وكشفها .

ونقول منذ البداية ان هذه الاسباب اسباب عميقة في نظرنا ، تتجاوز ما يذكر عادة من مبررات عارضة عابرة . . فقد يقال ان ضعف النقد من ضعف الادب ، واننا لا نجد تقادا كبارا لاننا لا نجد الكثير من الادباء الكبار . وهذا القول مردود في الواقع : اذ مهما يكن من شأن الادب عندنا ومن تخبطه وبحرانه ، يظل من الصحيح ان ثمة فوارق بين نتاج ونتاج ، وان ثمة وفرة في النتاج ، وان ثمة نتاجا رفيما جديرا بالنقد . ثم ان هذا القول هو ضرب من المصادرة على المطلوب الاول كما يقول المناطقة ، او هو ضرب من الدور الفاسد : فكما ان ضعف النقد من ضعف الادب كذلك ضعف الادب من ضعف النقد . والفراغ الذي يتركه

- التتمة على الصفحة ٩٥ -

## أزمة النقد العربي

- تنمة المنشور على الصفح ٧ -

الادب ينبغي ان يملأه النقد وتفسير الادب عن اداء رسالته ينبغي ان يكشف عنه النقد ويعالجه . على اننا نعتقد على العكس ، ان جو الادب في بلادنا خير جو . لائم لمهمة النقد : فالنتاج وفير كثير ، والمحاولات متعددة ، والادباء كلهم يملون بتجارب ادبية جديدة نتيجة تمازج الثقافات والتاثر بالادب الاجنبية ، والرغبة في خلق ادب اصيل مبتكر رغبة قائمة بل متحققة في بعض الاحيان . ومع ذلك فصوت النقد صامت ، واصداء الادب فيه خرساء .

وقد يقال غير هذا . قد يقال ان رسالة الادب تأتي في مجتمعنا العربي في المرتبة الثانية ، وان الناس مشغولون عنها برسالة السياسة والاهتمامات السياسية المتصلة بالكيان القومي كله ، وهذا ايضا تفسير ناقص . فالادب العربي ، كأي ادب ، ليس معزولا عن سائر حياة المجتمع العربي ، وهو ليس معزولا عن المعركة القومية والسياسية خاصة . ومنذ سنوات بعيدة قدم الادب رسالة كبرى في هذا المجال ، فعبث عن المشاعر الوطنية والقومية ، وما يزال يجهد كل يوم للربط بين رسالته وحاجات الشعب العربي ، بين مطالبه ومطالب الكيان العربي . وكثير من ادبائنا الصادقين ، نقلوا الى نفوسهم وشاعرهم مشاعر مجتمعهم وحاجات امتهم ، وخلقوا من ذلك ادبا قويا يسهم في المعركة الشاملة التي يقوم بها العرب في كل مكان . ولئن كانت الاهتمامات القومية والسياسية شغل الناس الشاغل في هذه المرحلة التاريخية من حياة مجتمعنا ، فكم حري بهذه الاهتمامات ان تنشغل بالادب الذي يعبر عن هذه المشاعر القومية ، وان تعنى بالفكر الذي يريد ان يصون هذه الاهتمامات السياسية ويحميها من الانحراف؟ ان كل فرد عربي واع يشعر اليوم ان المعركة القومية والسياسية التي تخوضها الامة العربية ، لا تأخذ معناها السليم ولا تتخذ كامل مداها الا اذا صانها الفكر الصادق وقادتها الثقافة الرحيمة . ومهمة الادباء الاولى ان يقوموا بهذا الصون وان يضعوا في الحركة القومية العارمة كل ما يريده الفكر من صدق ومحبة واحترام للانسان وتطلع الى قيم انسانية حقة . ومهمة النقاد ان يسهموا في هذا مع الادباء فيكونوا لهم الحافز والحامي . ان رسالة الادب الحقة لا تجد منطلقها الرحيب في وقت من الاوقات كما تجده ايام الانبعاث القومي والنهضة السياسية . . هنالك يقف القلم ليدرك مسؤوليته الكبرى ، ويتململ الحرف ليجد كلمة البناء ، كلمة الامة . وهنالك تعظم مسؤولية نقد الحرف للحرف واستجواب الكلمة للكلمة . ونحن اليوم هنالك حيث ينتظر مجتمعنا المنطلق قوله الفكر الصادق وصرامة النقد المؤمن . ان معركتنا القومية الكبرى ، لن تصل الى مستقرها

الا اذا كانت في الوقت نفسه معركة انسانية كبرى ، ولا بد بالتالي ان تداخل القيم الانسانية عملنا القومي اليومي ، وان ندرك ان تفتح قوميتنا لا يتأتى الا مع تفتح انساننا العربي ، مع تحريره من كل عبودية ، مع تعبئته بالقيم الثقافية والحضارية الحقة . ومثل هذا الربط بين الانطلاقة القومية والتفتح الانساني ، وهو ربط لا تكون بدون الوتبة القومية جديرة بهذا الاسم ولا تصل بدونها الى غايتها ، تقع على الادباء مسؤولية القيام به ، وتقع على النقاد مسؤولية تذكير الادباء بمعناه وضرورته .

وقد يقال بعد هذا وذلك ان نتاجا واحدا من نتاج الادباء خير من الف نقد ، وان قوله بكون الشهرة « ان تجربة واحدة من تجارب الطبيعة تعدل عندي الف دليل عقلي » تصدق ايضا على ميدان الادب والنقد . قد يقال بتعبير اخر ان الناقد هو القاريء وحده ، وان الناقد طفيلي يريد ان يعيش على نتاج الادباء ، وهو يعجز عن فهم هذا النتاج ، وكثير ما يشوهه ويسيء اليه . فلا نقد اذا ولا نقاد ، بل ادب وادباء ، والحكام هم القراء ، مهما يكن حكمهم فرديا . ذلك ان الادب تجربة شخصية ، وفهمها تجربة شخصية ، ولا بد ان ندع لكل قارئ المجال لتجربة ذاتية يقوم بها مع ما يقرأ ، كما ندع لكل اديب مجال مثل هذه التجربة مع ما يكتب .

وفي هذا القول كل الصيد ، وعنده تكمن المشكلة الحقيقية ، والرد عليه يقودنا الى صلب الموضوع في نظرنا انه يضطرنا الى ان نقول منذ البداية ان أزمة النقد العربي لا ترجع الى كثير من الاسباب العارضة التي تذكر ، وانما ترجع الى مهمة الناقد ما تزال غامضة قافة غير مستبينة لجمهور المهتمين بالامر . وورد هذا الغموض في مهمة الناقد الى النقاد انفسهم وما يدركونه من رسالتهم .

ذلك اننا نستطيع ، بشيء من التعميم ان نقسم النقد في البلدان العربية الى ثلاثة انواع اساسية :

الاول نقد يستند الى النقد العفوي ، الى حكم شخصي غامض ، شعاره : هذا يعجبني وذلك لا يعجبني ، وفي مثل هذا النقد نلفي انطباعات شخصية تتجلى في عبارات عامة غائمة تحمل شتى المعاني والتفسيرات ، ويمكن ان تنطبق على انواع كثيرة من الاساليب .

ومثل هذا النقد لا يستمد قيمته في نظر القراء الا من شأن قائله ومكانته الادبية ، وهو في معظم الاحيان نقد يتاثر تاثرا كبيرا بالعلاقة الشخصية التي بين الناقد والكاتب ، ويلعب فيه استلطاف الناقد للكاتب وتعاطفه معه دورا كبيرا مادام قوامه الانطباع الذاتي الشخصي .

ولا حاجة الى بيان تهافت مثل هذا الضرب من النقد رغم شيوعه ، ورغم انه النقد الغالب عندنا ، لاسيما بعد ان تولت مهمة النقد في معظم الاحيان صحافة هزيلة مرتزقة . ولا شك ان مثل هذا النقد يلعب دورا كبيرا في تشكيك الادباء والقراء في قيمة النقد وضرورته .

اما النوع الثاني من النقد السائد عندنا ، فهو النقد الذي

يجعل مهمته التحليل والشرح ، دون أن يشمل ذلك التحليل على تقويم حقيقي . ومثل هذا الضرب من النقد ، يدع غالبا النتائج الذي لم تعرف قيمته بعد ، ويكتفي بتحليل النتائج الذي اشتهر وعرف ، ويجعل مهمته الاولى تحليل ما في هذا النتائج من قيم ومعاني ، دون ان يحاول اي تقويم ونقد . انه بتعبير اخر ضرب من « الرصف الحي » لكبريات المؤلفات الادبية ، او حواشي موشاة مطرزة على الكتب القيمة ، او ضرب من « المغامرات التي تقوم بها النفس وسط امهات المؤلفات الادبية » على حد تعبير اناتول فرانس ، ومثل هذا النوع من النقد هو الذي دعت اليه مثل « مدام دوستايل » في فرنسا ، ومثل الشاعر الفرنسي « هوفو » حين انكر على الناقد حق مناقشة العبقرية ومجادلتها . والى هذا الضرب من النقد يلجأ نقادنا اليوم حين يتحدثون عن نتاج كبار الادباء ، وحين ينقلون خاصه النتاج العالمي الشهير .

وواضح ان مثل هذه المهمة لا يمكن ان تكون مهمة النقد الحقيقي ، فالناقد لا يجوز ان يكرس عمل الادباء وباركه ، بل عليه ان يكتشفه حقا ويجلوه . ومثل هذا الناقد الذي يسير في ركاب الابداع لرائع الذي اجمع عليه الناس ، لا يستطيع ان يسهم في معركة الادب ، لان هذه المعركة تحتاج دوما الى من يدفع بها الى امام عن طريق تقويم لها يجعلها تتجاوز ذاتها ، ومن بدهي الامر ان لا نقد بلا تقويم .

والنوع الثالث من النقد الذي بدأ يشيع في بلادنا منذ امد ليس بعيد ، هو النقد الذي يريد ان يتجاوز حدود الادب الخالص ، ليدخل في اطار التحليل الفلسفي او النفسي او الاجتماعي او الخلفي . وكلنا يعلم ذلك الطراز من النقد الذي تأثر بالدراسات الاجنبية ، فأخذ يعنى بتحليل المؤلفات تحليلا يستند الى حقائق علم النفس او حقائق التحليل النفسي او معطيات علم الاجتماع او قواعد الاخلاق او مبادئ الفلسفة .

ولا شك ان مثل هذا الضرب من النقد محاولة جديدة اكثر من النوعين السابقين ، فهو يخضع النتاج الادبي اولا لبعض القواعد ، مجتنباً بذلك افات النوع الاول من النقد نعني الحكم العفوي الذاتي الذي لا يستند الى مقياس واضح ومعيار مقرر . وهو ثانيا لا يكتفي بان يصف النتاج الادبي ويستعرض مافيه ، بل يجاوز ذلك الى النبش في اعماقه ، الى العوامل الخفية التي ولدته ، الى ربطه بصاحبه وربط صاحبه بالعوامل التي اثرت في تكوينه .

غير ان الناقد الدائن بمثل هذه النزعة لا يستطيع ان يرى النتاج الادبي الا من زاوية واحدة ، هي زاوية المذهب الذي يأخذ به . وهو لا يستطيع بالتالي ان يطل على المؤلف الادبي الاطلالة الشاملة التي لا بد منها لكمال النقد . بل هو يحاول في معظم الاحيان ان يرى في المؤلف افكاره هو ومذهبه هو او نقيض تلك الافكار وذلك المذهب . وكثيرا ما يحمل الاتار الادبية ما ليس فيها ويقسرها على ان تدخل في قالب مذهب الذي يريد . ويكفي للدلالة على هذا ان نذكر بعض ضروب النقد الادبي التي قدمها « فرويد »

صاحب مدرسة التحليل النفسي ، او التي قدمها « ماركس » فيلسوف المادية الجدلية . فهل ندرك حقا معنى اتسار بودلير اذا ذكرنا انها اعتراف بعقدة ابوية لديه ؟ وهل نزداد وعيا لنفس هوفو اذا قلنا انه وليد عقدة قتل الاب ؟ هل ندرك روعة كتابات دوستوفيسكي اذا قلنا انه كان مصابا بمس الاغتصاب ، كما كان تولستوي مصابا بالترجسية ؟ كذلك هل يكفي في تقويم آثار « فلوير » و « موباسان » ان نقول انهما كاتبان بورجوازيان كما اراد ماركس ؟

ان الناقد الحق لا يستطيع ان يستغني عن نظرة شاملة الى الادب ككل ، ولا يجوز ان يحكم الا من خلال مثل هذه النظرة الشاملة . والنقد المذهبي المستند الى نزعة نفسية او فلسفية او اجتماعية ، يضل طريق النقد ان خيل اليه انه يصيب بنقده كل مافي الاثر الادبي . اما ان اتخذنا من مثل هذا النقد وسيلة من بين الوسائل التي تؤدي الى فهم الاثر الادبي وتقويمه ، فعند ذلك يحتل مكانته الغالية في ميدان النقد الصحيح .

هكذا اذا نظرنا الى النقد في البلدان العربية هذه النظرة المجملية ، استبان لنا ان هذا النقد بانواعه الثلاثة الكبرى ، لا يطمئن حاجات النقد الحقيقي ، ويظل مقصرا عن العناية التي وجد من اجلها النقد ، ومن هنا كانت الشكوك فيه ، ومن هنا نراه بعيدا عن ان يحتل المكانة التي تنتظر منه . ويبقى ان نسائل اخيرا ما هو اذن النقد الصحيح الذي من شأنه ان يعيد للنقد قيمته ومكانته ؟

وعسير علينا في مثل هذا المقام ان نجيب على مثل هذا التساؤل جوابا كاملا . وحسبنا ان نتحدث عن اهم معالم مثل هذا النقد المرجو .

ان الازمة الكبرى في النقد ، حتى في البلاد الاجنبية ، ترجع قبل اي شيء اخر ، الى ذاتية النقد ، ومما يخلق الارتباك في الحكم على شأن النقد ارتباك النقد نفسه في احكامه وتباين ما يعطيه من نتائج . وهذا التباين في احكام النقاد يبلغ من التباعد احيانا حد التناقض كما نعلم . فكان النقد يفتقد اذن مقاييس مشتركة او الحد الأدنى من المعايير الموضوعية الثابتة التي يستند اليها ، وكأنه بسبب ذلك ذاتية مطلقة يتساوى لديها الوجود والعدم .

والمسألة دون شك عسيرة عميقة . انها في حقيقتها ترجع الى مسألة كبرى هي قدرة الذات على ان تحكم على ذات اخرى . غير ان هذا كله لا يعدو ان يشير الى ان ثمة مشكلة ينبغي حلها ، ولا يعني بحال من الاحوال ، كما قد يخيل ، ان المشكلة غير قابلة لان تحل ، ولا يجوز ان ينتهي من تقرير هذه المشكلة الى موقف اشبه بموقف النوع الثاني من النقاد ، نعني الى القول بان الفن لم يخلق ليحكم عليه ولينقد ولكنه خلق ليؤخذ ويشاهد ، لتكون متفرجين سلبين على عملية الخلق والابداع فيه ، فمثل هذه النظرة تعني في اعماقها الفوضى الادبية المطلقة . انها تقترب مما ذهب اليه انصار الادب الرومانتيكي في فرنسا ، كرد فعل على اصحاب النزعة الكلاسيكية ، حين قالوا ان كل شيء ممكن ومباح في الادب ، وان ليس ثمة حدود ولا قيود

للقدر الادبي لم تتم في بلادنا . فثمة تجارب في هذا الباب ، غير انها ماتزال في بدايتها ، وما تزال بعيدة عن ان تفيد فائدة عميقة من نتائج الدراسات الجمالية والادبية التي تمت في العالم .

يضاف الى هذا ان مثل هذه المحاولات ، على قلتها ، وتقصيرها عن كامل المدى المطلوب ، ماتزال تعيش في معظم الاحيان في معزل عن حركة النقد الادبي ، وتدارسها وتداولها لم يسر بعد ، وما يزال النقاد الفعليون في واد وهذه الدراسات في واد آخر .

على ان جوهر الامر ان الاسس الموضوعية المرجسوة ، ينبغي ان تسقى من نظرة شاملة الى قيم وجودنا وحياتنا ، وينبغي بالتالي ان يصحبها جلاء متصل لمعاني هذا الوجود ومستلزماته . ومن هنا كان نمو النقد الادبي ونمو النظرية النقدية الموضوعية وتبطين اوثق الارتباط بنمو فلسفتنا ونظرتنا الى الكون والاشياء .

**ان النقدي معناه العميق يعني تحقيق قيم الحياة ومعنى الوجود الصحيح في النتاج الادبي ، ولا يتم ذلك الا اذا ارتبطت قواعد الفن الجمالي بالمبادئ والنظرات الفلسفية التي توجه حياتنا وترشد سلوكنا .**

ان كاتبنا كسارتر لا يخطيء حين يقول في « ماهو الادب » ان الناثر يكتب ليقول شيئا ، وان على الناقد ان يجلو ما اراد الناثر ان يقوله ، اي ان يحكم على العمل الادبي من خلال قيمته الفلسفية والخلقية . فالناثر عنده « انسان اختار طرازا معيناً من العمل ، يمكن ان ندعوه باسم العمل عن طريق الكشف ، فمن المشروع اذن ان نطرح عليه هذا السؤال : اي مظهر من الكون تريد ان تكشف ، واي تغيير تريد ان تحدثه في الكون بوساطة هذا الكشف ؟ فالكاتب « الملتزم » يعرف ان القول فعل ، ويعرف ان الكشف يعني التغيير ، واننا لانستطيع ان نكشف مالم نستهدف ان نغير » .

وهكذا نخلص في نهاية الامر الى ان الموقف النقدي الصحيح هو الموقف الذي يجمع محاولتين في آن واحد : الاولى تطبيق مجموعة من القواعد الجمالية الموضوعية جهد المستطاع ، والثانية ربط القيم الجمالية التي يكشفها في النتاج الادبي بالقيم المثلى في الحياة ، بقيم الحق والخير ، بالقيم الفلسفية والخلقية . والمحاولتان كما قلنا ليستا منفصلتين او متعاقبتين ، انهما متحدتان ، بمعنى ان القواعد الجمالية لابد ان تستمد شأنها من القيم الفلسفية والخلقية التي تتدوقها وتتأق في عرضها ، ايماناً منها بها . وبمعنى ان القيم الفلسفية والخلقية حين تهز نفس الكاتب لابد ان تنقلب في تربته الادبية الفنية الى قيم جمالية انفعالية . ان الحق والجمال لا ينفصلان ، والجمال ليس سوى القيم التي يؤمن بها المرء ، حين تتجه بفضل الانفعال الى ان تفتح في ابداع فني وادبي ، ان افلاطون كان على حق حين قرر ان الجميل والخير لا يفترقان .

عبد الله عبد الدائم

دمشق

نقص جناحي الاديب .  
ان تقرير المشكلة ينبغي ان تكون نتيجته على العكس ، القناعة بان النقد لا يمكن ان يستقيم ، وان الادب لا يمكن ان يحيا ، الا اذا ادركنا ان للعمل الادبي قواعده الفنية واصوله الجمالية واهدافه الفلسفية ، وان علينا ان نمهد لوضع هذه القواعد وتلك الاصول .

لقد كانت للادب الكلاسيكي الفرنسي اصوله . ورغم ان تلك الاصول لم تكن اصولا سليمة ، وكانت جنمدا قاسية ، فانها ساعدت مع ذلك على خدمة الادب والنقد ، واسهمت في توكيد المعنى الاساسي للخلق الادبي ، نعني كون هذا الخلق موهبة وصناعة في آن واحد ، او موهبة صناعا بتعبير اصح ، ومهما يكن من سداجة تلك القواعد ، يظل من الهام ان وراءها ايماناً اساسيا بان ثمة شيئا انسانياً جوهرياً على الادب ان يعبر عنه متبعاً قواعد تضمن تعريف الجمال تعريفاً ثابتاً شاملاً .

كذلك حاول النقاد العرب قديماً ان يضعوا مثل هذه المقاييس للعمل الادبي ، وقد تكون هذه المقاييس شكلية صورية تغلب المبنى على المعنى ، ولكنها على اية حال لم تدع الادب بلا اطر ومعايير .

ونحن اليوم مدعوون الى رسم هذه المعايير للعمل الادبي وللابداع الفني . ولا شك ان عملنا هذا اصبح يسيراً الى حد بعيد بعد ان وجدت دراسات ادبية وجمالية واسعة ، وبعد ان حاول علم الجمال ان يضع مقاييس موضوعية للآثار الادبية والفنية .

ويزداد ادراكنا لاهمية هذه المقاييس اذا ذكرنا ان النقد في اعماقه ادراك لقيمة وتوجيه نحو هذه القيمة ، ولا سبيل الى ادراك قيم الاشياء دون ما تدارس لمراتبها ، ودون مباحث في اسسها .

**ان مهمة الناقد كما قلنا ونقول ان يجعل من العمل الادبي عملاً متجدداً متقدماً دوماً عن طريق مايقذفه امامه من قيم . ولا بد للنقد ، اذا اراد فعلاً ان يدفع عجلة الادب الى امام ان يملك منظومة من القيم الادبية الشاملة ، التي تلتقي فيها النظرة الفنية بالحقيقة الفكرية والفلسفية .** فمثل هذه المنظومة التي يطل الناقد من خلالها على معنى الاشياء ، على كنه الجمال وجوهر الحقيقة ، هي التي تجعل منه قائداً يحرض الاديب دوماً على تجاوز ذاته في سبيل الوصول الى اسمى ما يستطيعه من قيم الحق والجمال ، ان رسالة الناقد ان يصل بالاديب الى اقصى ما يستطيعه من تفتح على قيم الوجود ، ولا يتم له ذلك الا اذا ادرك هو اولاً هذه القيم ووعى مراتبها ورسم وسائل بلوغها .

وادبنا العربي احوج ما يكون الى مثل هذا النوع من النقد ، والبحران الذي هو فيه لا يخرج منه الا نقد زود بمقاييس قادرة على ان تدخله في اطر تمسك بوجوده وتقيه من الضياع .

ولا نعني بهذا ان بعض المحاولات لوضع اسس موضوعية